

حوانيت منطقتي البعالة والقوايس (ميلة، شرق الجزائر).

El Hawanite Tombs in the Baala and kwayes regions (Mila, East of Algeria).

وهيبة عبد الوهاب، عمرون.

- جامعة عبد الحميد مهري؛ قسنطينة2(الجزائر).

- البريد الإلكتروني: wahiba.abdelouhab@univ-constantine2.dz

تاريخ الإرسال: 2023/12/04؛ تاريخ القبول: 2024/06/03؛ تاريخ النشر: 2024/06/15.

المخلص:

تتناول هذه الورقة البحثية دراسة لنماذج من قبور الحوانيت المنتشرة بمنطقتي البعالة والقوايس بولاية ميلة (الشرق الجزائري). هذه المنطقة التي كشفت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر على مجموعة من قبور الحوانيت منتشرة على ضفاف وادي بالبعالة، حيث كان في الزمن السالف موضعاً استقطب الإنسان، الذي استوطنه عبر مختلف العصور. وسعياً للتعرف على هذه الحوانيت تم القيام بعمليات مسح ميدانية سنة 2018 قمنا من خلالها بمحاولة جرد أولي ورفع لبعض هذه المعالم، وسوف نتعرف من خلال هذا المقال عليها، وعلى أنماطها وانتشارها وتوزيعها وتبيان أهميتها الأثرية.

الكلمات المفتاحية: البعالة؛ حوانيت؛ ميلة؛ قبور؛ مسح أثري.

Abstract:

This research paper discusses the study of models of tombs known as "El Haouanit" in the region, of Baala and El-kwayes in the Mila region (east of Algeria). This area, which revealed during the second half of the 19th century, on a group of tombs scattered on the banks of a Baala river, which attracted settlement throughout the ages. In order to identify these monuments, field survey was carried out through which we attempted to inventory and planning some of these monuments, and this article will provide insights into their typology, distribution and archaeological significance.

Keywords: Baala; Haouanites; Mila; Tombs; Survey.

مقدمة:

تعرف الحوانيت حسب الباحث قزال (Gsell) على أنها مغارات جنائزية محفورة من طرف الإنسان على واجهات صخرية عمودية، تكون إما متتابعة أو متموضعة فوق بعضها البعض، ويتم الدخول إليها عن طريق فتحة مربعة الشكل تشبه فتحة النافذة. ويمكن العثور عليها منحوتة على واجهة صخرية أو على صخور معزولة وهي تنتشر بكثرة ببلاد المغرب من الساحل التونسي إلى المغرب الأقصى (Gsell s. , 1927 :171-172). عرفت منطقة ميلة اكتشاف عدة مواقع أثرية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحتوي على هذا النوع من المعالم الجنائزية، حيث ذكرت لأول مرة في منطقة البعالة سنة 1850 من طرف دولامار (Delamare) من خلال مؤلفه الخاص بالاستكشافات العلمية المنجزة بالجزائر بين سنة 1840 و1845، وقد وصف من خلاله موقع البعالة وما يحتويه من معالم أثرية من بينها قبور الحوانيت والآثار الرومانية ودعم مؤلفه بلوحات ورسومات صورت حالة ووضعية هذه المعالم (Delamare,

1950). كما قام القاضي جاكو (Jacquot. L) سنة 1900 بإنجاز مخططات ورفع للقبور المنحوتة (الحوانيت) الموجودة بمشتى بن نيحي ومشتى البعالة التي أشار إليها دولامار (Jacquot, 1900: 132-138). وساهم الباحث قزال (Gsell) من خلال أطلسه الأثري في تحديد مواقع بعض حوانيت البعالة ضمن ورقة قسنطينة رقم 17 (Gsell S. , 1911). وغير بعيد عن منطقة البعالة قام الزوجان ألكي (Alquier.J و Alquier.P) بدراسة آثار منطقة عين فوة الواقعة بدوار أولاد رحمون بجبل عقاب أشار فيها إلى انتشار عدة أنواع من المعالم الجنائزية من ضمنها قبور الحوانيت (Alquier & Alquier, 1929).

كما أشار الباحث دوبريج (Debruge) بدوره إلى انتشار هذا النوع من المعالم الجنائزية في الجهة الشمالية الغربية لمنطقة ميله حيث أشار إلى وجود ماي يفوق خمسين قبر من نوع الحوانيت في حمام أولاد عاشور (Debruge, 1912-1913).

وبعد الاستقلال تضاءلت وتيرة الأبحاث الأثرية بصفة عامة بهذه المنطقة، ما عدا بعض الأعمال الأكاديمية منها الأبحاث التي قام بها الباحث نؤارة عمار والتي كللت باكتشاف حوانيت عين تامدة التي لم تكن معروفة سابقا (نؤارة، 2012). إضافة إلى أبحاث حول الآثار القديمة الخاصة بمنطقة البعالة التي أضافت معلومات قيمة حول قبور الحوانيت والتي أنجزت من طرف الباحثين في الآثار القديمة زعباط (زعباط، 2011) وبوقرة (بوقرة، 1014). ورغم أهمية ما تم إنجازه إلا أن هذه المعالم لاتزال في حاجة إلى المزيد من الأبحاث والدراسات ونساهم بدورنا من خلال هذه الورقة البحثية في التعريف بجزء من هذه المعالم الجنائزية والتطرق إلى نتائج عمليات المسح الميدانية التي قمنا بها سنة 2018 في محاولة

لإحصائها والتعرف على أنماطها وحالة حفظها وتبيان أهميتها الأثرية وتوزيعها الجغرافي.

1- الموقع الجغرافي:

تقع هذه المعالم الجنائزية بمشتة بومالك وهي تتوزع ضمن نطاق بلديتي واد العثمانية وعين الملوك بولاية ميلة في الشرق الجزائري. ويوجد جزء كبير منها بمشتى القوايس والباقي يقع على ضفاف وادي البعالة بالقرب من الحمام الروماني. وتُنسب هذه الحوانيت عموماً إلى مشتى البعالة وهو الاسم الشائع والمعروف في المراجع والكتب، كما عرفت هذه المعالم تحت تسمية مشتى بن يحي وهو الاسم القديم المعروف لكل المنطقة.

وللوصول إلى هذه الحوانيت يتم الاتجاه مباشرة إلى الحمام الروماني للبعالة والمعروف بمنبع الماء الذي يحمل اسم عين السكر، ثم يتم تسلق الشرفات الصخرية شمال الضفة اليسرى لوادي البعالة مع مواصلة السير نحو الشرق باتجاه الكتل الصخرية الموجودة بمشتى القوايس، وكذا الجهة اليمنى للوادي باتجاه الجنوب. ويضم هذان الموقعان قبور من نوع الحوانيت وآثار لحمام روماني وملاجئ ومغارات مُهيأة على شكل أروقة وسرايب، إضافة إلى نحت للإله ساتورن الإفريقي وبقايا فسيفساء ومقالع ومحاجر وبقايا أثرية أخرى.

تم إحصاء أكثر من 80 حانوتا خلال المعاينة الميدانية التي قمنا بها (صورة 1)، وتعذر القيام بمسح شامل لكافة المنطقة، وحسب أحد سكان المنطقة فهناك العديد من هذه القبور منتشرة على طول مجرى وادي البعالة.

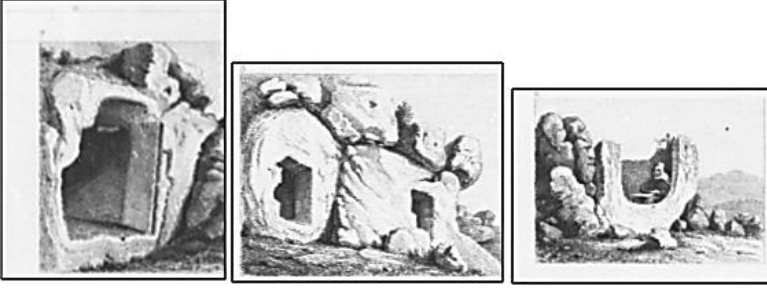
الجيدة الحفظ رغم صعوبة ظروف العمل الميداني واستحالة رفع كل المعالم.

3- الحوانيت:

نعرض من خلال هذا العنصر بعض نماذج الحوانيت التي قسمناها إلى أربع مجموعات حسب طبيعة الكتل الصخرية التي نحتت بداخلها وتتمثل في الحوانيت دون سقف والمنحوتة في كتل صخرية معزولة، الحوانيت النموذجية المنحوتة في كتل صخرية معزولة، الحوانيت المتجاورة المنحوتة في واجهة صخرية عمودية، والحوانيت المحفورة تحت الشرفات الصخرية المطلّة على جرف.

أ. حوانيت بدون سقف:

تتمثل في حوانيت نُحتت داخل كتل صخرية معزولة ولا تحتوي على سقف أو غطاء (صورة3)، وقد تمّ إحصاء 7 نماذج منها الحانوت رقم 1 وهو عبارة عن حانوت كبير مربع الشكل منحوت في صخرة معزولة كبيرة على ارتفاع 854م وتتمثل إحداثياته الجغرافية في $36^{\circ}17'59,14''$ شمالا و $6^{\circ}13'47,97''$ شرقا. يقع هذا الحانوت بمشتى القوايس يمين الطريق المؤدي إلى الجرف الصخري، وهو لا يحتوي على سقف وفتحته موجهة نحو الشرق، يبلغ ارتفاعه 1.60م وعمقه 1.60م وعرضه حوالي 1.50م، ويحمل هذا المعلم آثار النحت على جدرانه. وقد تم العثور على نماذج أخرى مشابهة له، أحدها فتحته موجهة أيضا نحو الشرق رقم 19 والثاني منحوت من كتلة صخرية موجه نحو الغرب رقم 23 والحانوت 24 الواقع غرب الحانوت 1 وهو موجه أيضا نحو الغرب.



صورة 2: حوانيت موقع البعالة حسب دولا مار 1850 (عبد الوهاب ، 2021).

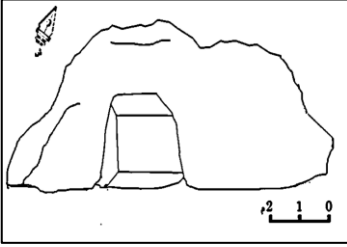


صورة 3: (نموذج للحوانيت المعزولة بدون سقف بمشتى القوايس (عن الباحثة)

ب. حوانيت نموذجية محفورة ضمن صخرة معزولة:

تم إحصاء من هذه النماذج 6 حوانيت، وهي نموذجية حيث تتكوّن من غرفة مربعة أو مستطيلة الشكل، تكون فتحتها موجهة في الغالب نحو الشرق أو الجنوب، وأرضيتها صخرية ولا تحتوي على التراب وهي خالية من اللقى الأثرية وقريبة من بعضها البعض. يتمثل أحسن مثال على ذلك لدينا المعلم 2 (صورة 4) والذي هو عبارة عن حانوت كبير نموذجي مربع الشكل، وهو يقع بمشتى القوايس يمين الطريق المؤدي إلى الجرف الصخري على ارتفاع 860م، وقد تم نحته في كتلة صخرية معزولة موجودة داخل حقل يستغل في زراعة القمح. وتتمثل إحدائياته الجغرافية في $36^{\circ}18'2,21''$ شمالا و $20'20''$ شرقا. ويقدر ارتفاعه

ب 1.30م وعمقه 1.95م وعرضه حوالي 1.80م، وأما فتحته فموجهة نحو الجنوب وهي بشكل مربع عرضها من الأعلى أقل من الأسفل وأرضيتها نصف سطحها حجري والآخر ترابي.



صورة 4: عينة من الحوانيت النموذجية المنحوتة في كتلة صخرية معزولة (عن الباحثة) ولا يمكن الحديث عن هذه الحوانيت دون التطرق إلى الحانوت رقم 6 وهو حانوت نموذجي (صورة 5) يقع بمشتى القوايس شمال-شرق المزرعة بالجرف الصخري على ارتفاع 877م، تتمثل إحداثياته الجغرافية في $36^{\circ}18'4,55''$ شمالا و $6^{\circ}13'47,36''$ شرقا، وهذا الحانوت فتحته موجهة نحو الشرق وهي بشكل مستطيل يبلغ ارتفاعها 1.20م وعرضها 80سم. ويبلغ عمق الغرفة الجنائزية 2.20م، ويزداد عرضه وارتفاعه كلما اتجهنا نحو الداخل. وهو نموذج مشابه للسابق لكنه ينفرد بالشكل الذي تم نقشه على يسار الجدار الداخلي للhanout وهو عبارة عن مثلث تحيط به خطوط (شعاع) بداخله نقش لشخص غير واضح يرجح أنه لتأنيث وبعض الخطوط المبهمة.



صورة 5: نموذج من الحوانيت المحفورة في صخرة معزولة تحمل نقش لمثلث مشع (عن الباحثة).

ويتمثل النموذج الآخر رقم 7 الذي يتوجب ذكره ضمن الحوانيت المحفورة في كتلة حجرية معزولة (صورة 6) وهو موجود غرب الحانوت رقم 6 مباشرة، وتتمثل إحداثياته الجغرافية في $36^{\circ}18'4,45''$ شمالا و $6^{\circ}13'47,07''$ شرقا وارتفاعه 877م عن سطح البحر. وهو عبارة عن حانوت نوعا ما واسع وقد تم توجيه فتحته نحو الشرق وهي ذات شكل مستطيل يبلغ عرضها 1.10م وارتفاعها 1.60م. أما عمقه فيقدر بـ 1.70م وعرضه من الجهة الداخلية 2م، ويتميز هذا الحانوت عن سابقه بوجود حزتين جانبيتين عموديتين على يمين ويسار المدخل يحتمل أنها كانت تستعمل لتثبيت بلاطة غلق فتحة الحانوت، ويبلغ ارتفاع كل حزة 1.10م وعرضها 15سم (صورة 7).



صورة 6: عينة من
الحوانيت المحفورة
في صخرة معزولة
يحمل حزتين
جانبيتين عند المدخل
(عن الباحثة).



صورة 7: شكل
الحزتين على
مدخل الحانوت
(عن الباحثة).

ج. حوانيت ضمن واجهة عمودية:

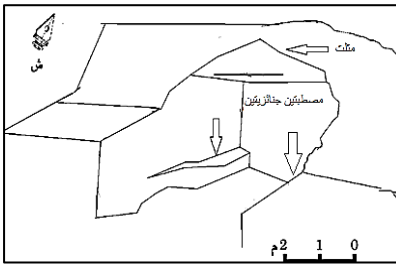
تتمثل في ثلاث حوانيت نموذجية متجاورة على نفس المستوى تمّ حفزها في واجهة صخرية عمودية مُوجَّهة نحو الشرق (صورة 8) وهي تقع بمشتى القوايس شمال-غرب الجرف الصخري بحيث تُطل على شعبة صغيرة على ارتفاع 876م عن سطح البحر وتتمثل إحداثياتها الجغرافية $36^{\circ}18'2,83''$ شمالا و $6^{\circ}13'43,05''$ شرقا. يقع الحانوت الأول رقم 16 في الجهة الشمالية للواجهة وهو ذو فتحة مربعة الشكل انهار جزء من سقفه وأرضيته حجرية، ويبلغ عمقه 1.70م وعرضه 1.10م وارتفاعه 1.70م، وعلى يمين الحانوت السابق بمنتصف الواجهة يوجد حانوت ثاني رقم 17 منحوت بشكل مربع وسقفه نصفه منهار، ويبلغ عرضه 1.30م وارتفاعه 1.40م وعمقه 1.20م. بينما يوجد الحانوت الثالث رقم 18 جنوب الواجهة الصخرية، فتحته مربعة الشكل وسقفه كامل، يبلغ عرضه 1.10م وارتفاعه 1.30م وعمقه 1.40م. أما ارتفاع فتحته من سطح الأرض فيُقدر بـ 60سم، وكل هذه الحوانيت تحمل آثار النحت على جدرانها وأرضيتها صخرية وهي فارغة كليا من الداخل.



صورة 8: منظر
عام للواجهة
(عن الباحثة)

د. حوانيت محفورة تحت الشرفات الصخرية:

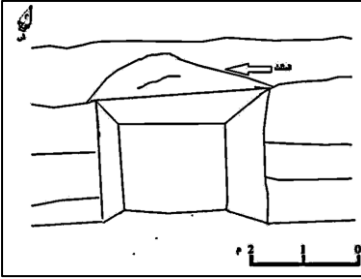
تم إحصاء 25 حانوت منحوتا سواء تحت مسطحات وشرفات صخرية مطلة على جرف صخري أو واد، وسوف يتم التطرق إلى بعض العينات المتميزة بشكائها ومحتواها منها الحانوت رقم 20 المطل على الجرف الصخري الأيسر لوادي البعالة بمشتى البعالة على ارتفاع 851م، تتمثل إحداثياته الجغرافية في $36^{\circ}17'51,89''$ شمالا و $6^{\circ}13'35,03''$ شرقا. فتحته مربعة الشكل وموجهة نحو الغرب وسقفه حجري، وتحتوي أرضيته على القليل من التراب، وقد قدر عرض فتحته بـ 1.50م وارتفاعه 1.15م وعمقه 1.80م.



صورة 9: منظر عام للханوت 20 يظهر من خلاله مصبطين جنازيتين وشكل المثلث في أعلى الفتحة (عن الباحثة).

كما يوجد حانوت آخر يحمل رقم 21 يقع على الجرف الأيسر لوادي البعالة على ارتفاع 847م غير بعيد عن الحانوت 20، تتمثل إحداثياته الجغرافية في $36^{\circ}17'51,94''$ شمالا و $6^{\circ}13'33,90''$ شرقا، تطل فتحته المربعة باتجاه الغرب وسقفه حجري وأرضيته تحتوي على تراب. يبلغ عرض هذا الحانوت 1.34م وارتفاعه 1.13م وعمقه 1.90م، ويتميز هذا الحانوت أيضا بوجود شكل مثلث في أعلى الفتحة المربعة، ويقدر ارتفاعه إلى غاية قمة المثلث 25سم (صورة 10). يتميز هذا الحانوت بوجود مصبطين جنازيتين بداخله، واحدة على اليمين والأخرى على

اليسار بحيث يبلغ ارتفاعهما عن سطح أرضية الحانوت ب 30سم وعرضهما 20سم، ولوحظ وجود نحت في شكل مثلث في أعلى فتحة المربعة ودكة طبيعية موجودة علي يمين ويسار الحانوت بحيث يبلغ ارتفاعها 1م وعرضها 1م وتحت الحانوت يوجد سلم يتكون من ثلاث درجات(صورة9).



صورة10: منظر عام للhanout 21 ومخطط يظهر من خلاله شكل المثلث في أعلى الفتحة (عن الباحثة).

ويوجد حانوت آخر يحمل رقم13 تم حفره تحت مسطح صخري الذي يُشكل سقف هذا الحانوت، وهو موجود مع حافة الجرف الصخري المطل على سهل مشتي القوايس على ارتفاع 889م. وتتمثل إحداثياته الجغرافية في $36^{\circ}18'8,08''$ شمالا و $6^{\circ}13'52,47''$ شرقا. فتحة مربعة الشكل ومُوجّهة نحو الجنوب وأرضيته ترابية، ويبلغ عرض فتحته 1.70م وارتفاعها 1م وعمقها 1.10م. وما يُميز هذا الحانوت هو وجود شقف فخارية منتشرة عند المدخل وكذا بداخله، ومنها بعض القطع التي تحمل زخارف منقوشة على الحواف وقد تم نهب محتوى هذا القبر مؤخرا حسب رواية سكان المنطقة.



صورة 11: منظر عام للحانوت 13 وبعض الشقف الفخارية عثر عليها عند مدخله
(عن الباحثة).

هـ. حوانيت غير مكتملة:

تم إحصاء أربعة بقايا حوانيت لم يكتمل تشكيلها أو تخرت بسبب من الأسباب، وهي متجاورة نوعا ما من بينها الحانوت رقم 5 الذي يقع تحت جرف صخري مُطل على سهل مشتى القوايس بارتفاع يقدر بـ 873م، وتتمثل إحداثياته الجغرافية في $36^{\circ}18'3,20''$ شمالا و $6^{\circ}13'46,61''$ شرقا. وقد تم نحته على صخرة عمودية معزولة ومسطحة موجهة نحو الشرق، فتحت ذات شكل مستطيل قُدر عرضها بـ 1م وارتفاعها 2م وعمقها 15سم وهو مجاور لنقش حانوت آخر مشابه له يحمل رقم 4، ولوحظ أيضا وجود خطين عموديين متوازيين تم نقشهما على واجهة صخرية عمودية موجهة نحو الشرق تقع يسار الحانوت 6 و 7، وتطل هذه الواجهة على جرف صخري بمشتى القوايس، ويُرجح أنه عبارة عن مخطط لبداية نحت حانوت فتحت مستطيلة لكن النحت لم يكتمل، ويبلغ عرضه 0.7م وارتفاعه 1م (صورة 12) وهو مجاور لمخطط آخر.



صورة 12: منظر عام للحنوت 5 والخطوط عمودية متوازية (عن الباحثة).

4- تصنيف الحوانيت المدروسة:

اعتمدنا في تصنيف هذه المعالم الجنائزية على ترميم الباحث قزال (1961) الذي صنفها على عدة أنماط منها الحوانيت البسيطة والحوانيت المنحوتة في صخرة منعزلة والحوانيت المتعددة الغرف (Camps, 1961: 98-100) وقد عثر على النمطين الأول والثالث فقط في حين لم نعثر على نمط الحانوت المتعدد الغرف في هذا الموقع.

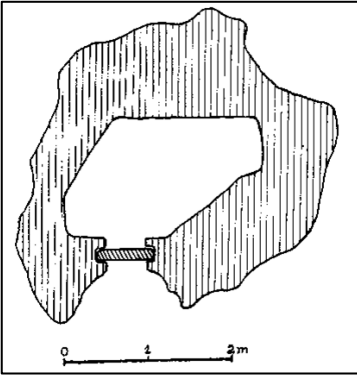
النمط الأول:

توجد حوانيت ذات شكل بسيط من النمط الأول تحتوي على غرفة واحدة منحوتة بشكل متجاور على شرفة حجرية مسطحة، وهناك حوانيت نحتت تحت كتل حجرية مسطحة مطلة على وادي البعالة، وهي مشابهة لما عثر عليه في قاستل بفتح الحطابة وعين البيض، وفي الركنية بكاف العبادية وسانت ايمي وجديوية (Camps, 1961: 100)، إضافة إلى حوانيت غير نموذجية حيث أنها إما لا تحتوي على الغطاء وإما لا تحتوي على واجهة المدخل، ولم يتم الإشارة إلى هذا النمط سابقا.

النمط الثاني:

وهي حوانيت محفورة في صخرة كبيرة معزولة عثر عليها خاصة في مشتي القوايس منها الحوانيت الكاملة التي تحمل سقف أو لا تحمل

سقف. وقد عثر على هذا النمط بمواقع أخرى في كل من بوحجار بالطارف، كيسة بهضبة الدير بتبسة، والقل، وفي تونس بمقبرة غرفة السبع ومنطقة دوقة وسجنان (Camps, 1961: 100). كما سمحت المعاينة الميدانية الدقيقة للموقع من ملاحظة وجود بعض قبور الحوانيت التي لم يكتمل نحتها لسبب مجهول، فهناك تخطيط لفتحة حانوت على شكل خطين متوازيين، من السهل ملاحظتهما ميدانيا وهناك نحت آخر لفتحة معلم قُدِّر عرضه ب 1م وارتفاعه 2م وعمقه 15سم، وهو مجاور لنقش حانوت آخر رقم 4 مشابه له.



صورة 13: نموذج

من الحانوت

المحفور في كتلة

صخرية معزولة

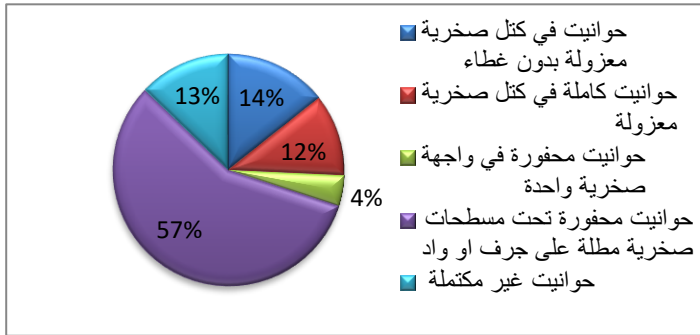
لموقع كيسا

(Camps, 1961)

5- خصائص حوانيت البعالة والقوايس:

يوجد عدد كبير من الحوانيت المحفورة تحت مسطحات صخرية مطلة على جرف صخري أو واد حيث بلغت نسبتها 57٪، وهذه النسبة انجزت انطلاقا من الإحصاء الذي قمنا به فقط، ونشير هنا أننا لم نتمكن من جرد ومعاينة كل المعالم الموجودة في المنطقة، حيث هناك المزيد من هذه القبور حسب سكان المنطقة. وتبلغ نسبة الحوانيت المنحوتة في كتل صخرية معزولة بدون غطاء نسبة 14٪، تليها الحوانيت غير مكتملة النحت 13٪، والحوانيت المحفورة في كتل صخرية معزولة

12%، وأخيرا الحوانيت المنحوتة في واجهة صخرية واحدة 4% (صورة 14). وتتميز حوانيت مشتى القوايس والبعالة، بوجود بعض الحوانيت مشتى القوايس موجهة نحو الشرق) أو الجنوب، ومعظم هذه القبور لا تحتوي على محتوى أثري حيث أن أرضيتها صخرية، باستثناء أحد الحوانيت الذي عثر بجواره على شقف فخارية.



صورة 14: دائرة نسببة لوضعية الحوانيت بمشقة القوايس والبعالة(عن الباحثة).

إن طبيعة هذه المعالم تتطلب تركيبة طوبوغرافية واضحة تكثر فيها الكتل الواجهات الصخرية والمسطحات من أجل نحت غرف جنائزية في مكان مرتفع يحتمل أن الهدف من ذلك هو حماية الميت والمحافظة على الهيكل البشري والمرفقات الجنائزية وقد توفر هذا بمنطقتي القوايس والبعالة، إضافة إلى وجود نبع مائي دائم الجريان وهو عين السكر التي تغذي وادي البعالة منذ القدم حيث تم استغلاله في الفترة الرومانية في تزويد الحمامات الواقعة على الضفة اليمنى من الوادي، ويتراوح ارتفاع هذه المعالم عن سطح البحر بين 800م و900م.

أ. النقوش داخل الحوانيت:

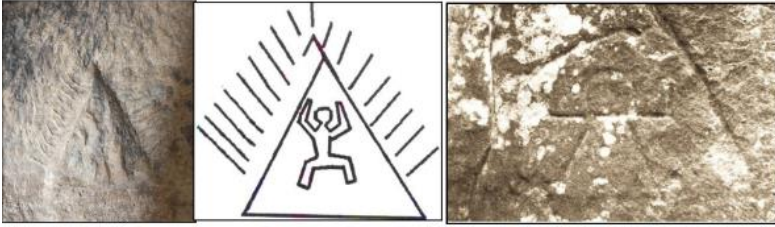
لاحظ الباحثون وجود حانوت نُقش بداخله على الجهة اليمنى شكل مثلث مشع بداخله نحت يحتمل أنه للآلهة تانيت (صورة 15)، وهي

بذلك مشابهة لما عثر عليه بقلعة الصنام بتونس والتي تتمثل في نقوش سواء على شكل وجه بشري، أو نحت بيضوي أو قرصي الشكل، ولوحظ الشيء نفسه في جبل البهاليل بتونس إذ عثر في حوانيته على نقوش بشرية وأخرى حيوانية تتمثل في حيوان الأروي وحيوانات لحومية وهي مشابهة لما تحمله النقوش الصخرية المنتشرة في الشرق الجزائري، كما عثر على رسومات أنجزت باستعمال المغرة الحمراء على شكل أشكال هندسية منها مثلثات ودوائر، وأشكال حلزونية وحيوانات مجترية منها غزلان ومشاهد أخرى (Camps, 1961:101-105).

وتم تزيين وزخرفة الحوانيت سواء عن طريق نحت أشخاص مثل ما عثر عليه في حانوت بن يسلا، أو نقوش مثل نقش للإلهة تانيت فوق مدخل حانوت بمقبرة جبل سيدي زيد التي عرفت بنقوشها المنجزة لاحقا بعد نحت الحوانيت، وهي تظهر التأثيرات البونية بشكل واضح. وهناك حوانيت أخرى تحمل زخارف قديمة منها تلك التي عثر عليها في جبل منقوب حيث نقش بها حيوان بقري بقرنين طويلين وأمامه شخص راقص كما عثر على نقوش حيوانية أخرى في بن يسلا (سجنان) وسيدي محمد لطرش ومشهد لقارب يحمل أشخاص وأسلحة بكاف البلدية، وتزين الحوانيت البسيطة بكوات على الجدران يكون شكلها مشابه لشكل السقف مثلثة أو مسطحة وحفر محفورة في أرضية الحانوت (Camps & Longerstay, 2000).

وقد لاحظنا وجود حانوتين يطلان على وادي البعالة يحملان نقش فوق مدخلهما على شكل مثلث ويتمثلان في المعلمين 20 و 21. كما سمحت لنا معاينة أحد الحوانيت من الداخل بملاحظة وجود مصطبتين على جانبي الحانوت، مثل ما هو الحال بالهانوت رقم 20 (صورة 16) الذي يتم الوصول إليه باستعمال سلم صخري مكوّن من ثلاث درجات، وقد

أشار بعض الباحثين إلى هذه المصاطب وأطلقوا عليها مصطلح الأسرة الجنائزية، وهي تظهر على هيئة درجة حجرية مُهيئة، توجد داخل الحانوت سواء في جهة اليمين أو اليسار أو كليهما معا وقد عثر عليها في تونس في كل من هنشير سودان وبن عيش وقلعة الصنام وفي حوانيت بجاية ويفترض أنها تستعمل لوضع الجثة أو التقديمات والأثاث الجنائزي المرافقة لها (Deyrolle, 1909: 160; Camps & Longerstay, 2000).

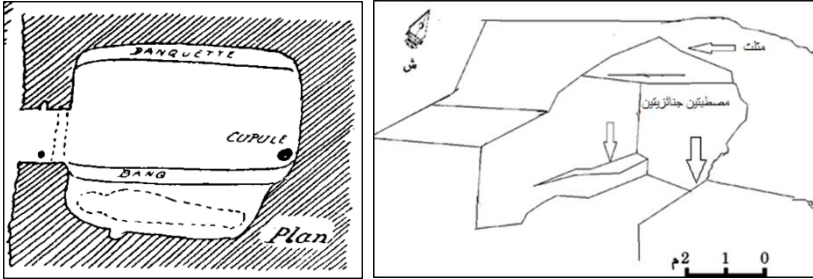


صورة 15: نقش لتانيت على اليسار حانوت مشتى القوايس، وعلى اليمين

حانوت جبل سيدي زيد بتونس

(عبد الوهاب، 2021؛ زعباط، 2011؛ Camps G., Longerstay M., 2000)

سمحت المعاينة الميدانية كذلك بملاحظة وجود آثار حرات جانبية محفورة في الصخر تستعمل لغلغ الباب في الحانوت 7، وقد عثر على العديد من هذه النماذج في حوانيت كيسة في هضبة الدير وفج الحطابة بتبسة، وكانت تستعمل لتثبيت صفيحة خشبية أو معدنية أو حجرية من أجل غلق الحانوت (Camps, 1961:93). أشار الباحث دوبريج إلى عثوره في أحد حوانيت حمام أولاد عاشور على باب حجري لايزال في حالة حفظ جيدة (Debruge, 1912-1913: 266-267). ومهما كانت طريقة غلق الحوانيت فإنها لم تُخصص لاستقبال إنسان ممدود وهي لم تكن مخصصة للسكن وإنما للدفن رغم قلة الأثاث الجنائزي والعظام البشرية بداخلها (Camps, 1961).



صورة 16: حانوت يحتوي على مصطبتين حجريتين منحوتتين يمين ويسار

المعلم 1 وحانوت قلعة الصنام يحتوي على دكتين جانبيتين 2

(عبد الوهاب، 2021: 342; 1909:161; Deyrolle E., 1909:161; 342; 2021)

ب. انتشار الحوانيت:

تنتشر الحوانيت بكثرة في الشرق الجزائري والشمال التونسي حيث عثر عليها في موقع جديوية ووادي رهيو بجهة الغرب وتيبازة، كما عثر عليها في بجاية وفي موقع البعالة بميلة، بالمنصورة وسيدي مبروك، وفي جبل الغرف بالخراب في قسنطينة، وتنتشر في قلعة بمقبرة الركنية وفي كيسة وفج الحطابة وقاستال بتبسة ومداوروش، كما عثر عليها بالمغرب الأقصى في كل من تازة وطنجة وجبل عياش، وتنتشر بشكل كبير في المناطق الجبلية الشمالية الغربية بسيدي زيد البهليل وجبل الزيت والحروري في مناطق قلييا وجبل الزربية زغوان وقرامبيليا وسيدي لطرش والمنستير وجربة، وبن يسلا، وقلعة الصنام، ووادي سجنان دار الصوان بالجبل المائلة وجبل المنقوب والقتمة (ساحد، 1961; 2011:152; Camps G., 1961; 2011:152; 342; 2021)



صورة 17: عينة لحوانيت البعالة، الركنية بقالة وقاسل بتبسة (عن الباحثة).

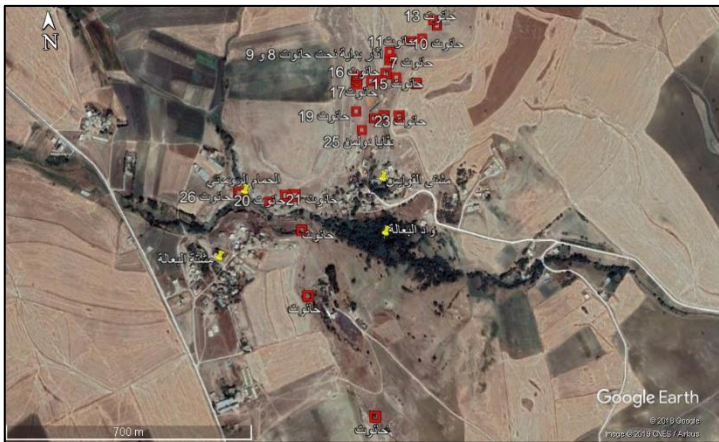
ج. أصل الحوانيت:

تتمثل الإشكالية الكبيرة الخاصة بالحوانيت في كرونولوجيتها وتأريخها، فمن خلال شكلها وحجمها ومجموعة النقوش الموجودة بداخلها فهي تتشابه مع تلك الموجودة في صقلية الشرقية خاصة التي عثر عليها في بانتاليكا وكاسيبيل والتي أرخت بعصر البرونز غير أنه يتعذر تأريخ الحوانيت بنفس العصر لانعدام الأثاث الجنائزي بها.

فيما يتعلق بانتشار هذه القبور فعلى غرار المعالم الجنائزية الأخرى الموجودة في الشمال والصحراء فإن الحوانيت تنتشر بكثرة فقط في الشمال الشرقي خاصة في التل التونسي الشمالي والطارف وفي شمال مجردة وكلما اتجهنا نحو الجنوب يقل عددها حيث نجدها منتشرة في منطقة تبسة (Camps & Longerstay, 2000:4-5).

وطرحت فكرة استراد هذا النوع من المعالم من سردينيا وصقلية على اعتبار أن هناك انتشار كبير لهذه المعالم في الشمال التونسي (مقابل للجزيرتين سابقتي الذكر)، وقد تم البحث عن أصل الحوانيت خارج القارة الإفريقية. ومنذ بداية الأبحاث حول الحوانيت ظهرت فكرة علاقتها مع القبور البونية من نمط الآبار، حيث يتشابهان من حيث الشكل المربع والكوات الجنائزية المحفورة على الجدران أو الأرضية، والدكات أو الأسرة الجنائزية والزخرفة. وانطلاقاً من هذا التشابه افترض البعض إمكانية أن هذه القبور نحتت في مرحلة تطور القبور البونية. وزيادة على كل هذا فهناك نقطة أخرى تُرجح الكفة إلى الأصل البوني لهذه الحوانيت، وهي وجودها بالقرب من مناطق التواجد المدن

البونية منها القل، بجاية، تيبازة، مونستير، قسنطينة وتبسة، باستثناء تازة التي لم يعثر على دلائل وجود بوني (Camps & Longerstay, 2000:6). على عكس هذا الطرح فإنَّ الباحث قزال أكدَّ على الاختلاف الموجود بين القبور البونية المطمورة والحوانيت المنحوتة في الصخر أو واجهة فوق الأرض. ويرى أن حجم الحوانيت لا يسمح بدفن ممدود للجثة، وإنما في وضعية منطوية أو وضع العظام فقط وهي طريقة إفريقية وليست بونية. أما عن قرب الحوانيت من المدن البونية فهناك بعض المدن البونية مثل كركوان لكنَّ الحوانيت لا توجد بها وهي تنتشر بكثرة بالقرب من مدن ذات أصل نوميدي مثل شاوش، أوزالي سار، دوقة وبولاريجيا (Camps & Longerstay, 2000:8).



صورة 18: التوزيع الجغرافي لقبور الحوانيت بين مشتي القوايس والبعالة (Google Earth Pro™، بتصريف من الباحثة)

خاتمة:

يمكننا القول في خاتمة هذه الورقة البحثية أن العمل الميداني الذي قمنا به في منطقتي القوايس والبعالة هو مساهمة بسيطة في محاولة للتعرف على هذه المعالم الجنائزية التي قسمت إلى الحوانيت بدون سقف

وحوانيت نموذجية محفورة ضمن صخرة معزولة وحوانيت نموذجية أيضا حفرت ضمن واجهة صخرية عمودية وهناك مجموعة من حوانيت حفرت تحت مسطحات وشرفات صخرية مطلة على جرف ومجموعة أخيرة من حوانيت غير مكتملة التشكيل أو عبارة عن مخططات فقط.

ولوحظ من خلال العمل الميداني وجود حوانيت بمنطقة القوايس لا تحتوي على سقف أو غطاء وهي لا تدخل ضمن القائمة التتميطية المقترحة من طرف الباحثين المختصين في تنميط هذا النوع من المعالم خاصة قزال(1961) ولا يمكن التأكيد أو النفي أن هذا هو الشكل الأصلي لها، ويمكن افتراض انها تحركت وتزحزحت من مكانها الأصلي أو انقلبت لسبب من الأسباب فتغير مكان الأرضية إلى جهة السقف والعكس صحيح وهذا ما يجعلها تظهر أنها بدون سقف. ونشير أننا لاحظنا وجود حوانيت محفورة ضمن كتل صخرية معزولة لكن أرضيتها ترابية ويبقى هذا مجرد احتمال، ومن خلال اللوحات التي أوردها دولامار في وصفه للمنطقة يلاحظ بشكل واضح وجود شخص يجلس بداخل أحد الحوانيت بدون سقف(صورة2).

تتميز الحوانيت المدروسة بخلوها التام من المحتوى الأثري وحتى الدراسات السابقة لم تشر إلى ذلك وهذا ما يجعل تأريخها غير ممكن، وهذا النوع من المعالم الجنائزية المتميزة بشكلها وحجمها لفتت نظر المجتمعات البشرية اللاحقة وأثارت فضولها حول دورها ومحتواها خاصة مع تغير العادات الجنائزية على مر العصور، وهذا ما جعلها عرضة لاستغلالها كملاجئ للاختباء حيث يعتقد أحد سكان المنطقة أنها نحتت من طرف المجاهدين خلال الاستعمار الفرنسي واستعملت ككازمات، وقد تعرضت معظم هذه الحوانيت للتخريب والنهب

والتنقيب العشوائي فحسب رواية سكان منطقة القوايس هناك أفراد يأتون ليلا لحفر بعض الحوانيت ويروى استخراج أواني فخارية وقد لاحظنا انشار لبعض الشقف الفخارية عند مدخل أحد الحوانيت، وبعض هذه الحوانيت تستغل حاليا كصناديق لتربية النحل.

لا يمكن الحديث عن حوانيت منطقتي القوايس والبعالة دون التطرق إلى الحانوت الذي يحتوي على نقش لمثلث بداخلة شكل بشري يحتمل أنه يرجع للآلهة تانيت وهو في حالة حفظ متوسطة، كما لاحظنا بهذا الموقع الاثري وجود شكل مثلث يعلو فتحة مدخل حانوتين مطلين على جرف وادي البعالة، إضافة إلى وجود مصطبتين بداخل أحد الحوانيت.

لاحظنا أيضا وجود حزتين بارزتين وواضحتين عند مدخل أحد الحوانيت المدروسة تستعمل ربما لغلق الحانوت، وقد تمت الإشارة إلى وجود مثل هذه النقوش والزخارف في العديد من الحوانيت في سواء المنتشرة في الجزائر أو في تونس وهي تستدعي المزيد من الاهتمام والدراسة للتعرف أكثر على بناء هذه القبور.

وتتطلب هذه المعالم الاثرية حماية مستعجلة ضمن مخطط حماية التراث الوطني نظرا لأهميتها الأثرية فيمكن استغلالها في التنمية السياحية بالمنطقة التي تتميز بمناظر طبيعية خلابة مع غناها بالآثار الرومانية التي تشتمل على المغارات المهيئة والحمام الروماني والفسيفساء ونحت للإله ساتورن الإفريقي فلا يعقل أن تبقى هذه المنطقة السياحية مهملة.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- بوقرة أسماء، (2014). موقع البعالة -ميلة-دراسة مونوغرافية. رسالة ماجستير في التراث والدراسات الأثرية، جامعة قسنطينة 2، الجزائر.
- 2- زعباط مصطفى، (2011). الخريطة الأثرية لبلديتي عين الملوك وواد العثمانية-ميلة. رسالة ماجستير في الآثار القديمة، جامعة الجزائر 2، الجزائر.
- 3- ساحد عزيز طارق، (2009). التعمير البشري ببلاد المغرب في فترة فجر التاريخ -نموذج المعالم الجنائزية بمناطق الأوراس-دراسة أثرية معمارية. أطروحة دكتوراه في آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر.
- 4- عبد الوهاب وهيبة، (2021). التعمير البشري خلال عصور ما قبل التاريخ وفترة فجر التاريخ بمنطقة ميلة (الشرق الجزائري) -دراسة أثرية. أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر.
- 5- نواره عمار، (2012). الخريطة الأثرية لمنطقة ميلة وضواحيها في العهد الروماني. رسالة ماجستير في التراث والدراسات الأثرية، جامعة قسنطينة 2، الجزائر.
- 6-Alquier, J., & Alquier, P. (1929). *Le chettaba et les grottes à inscriptions latines du chettaba et du Taya*. Constantine: Direction des antiquités, Missions Archéologique
- 7-Camps, G. (1961). *Aux origines de la berbérie, Monuments et rites funéraires protohistoriques*. France: AMG.
- 8-Camps, G., & Longerstay, M. (2000). "Haouanet". *Encyclopédie Berbère*, pp. 3361-3387.
- 9-Debruge, A. (1912-1913). "La grotte Dar-D'lam ou maison de l'obscurité et plus communément Ghar-el-Hamam ou Grotte des pigeons". 46, pp. 261 - 267.
- 10-Delamare, A. (1950). *Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840-1845*. Paris: Archéologie
- 11-Deyrolle, E. (1909). "Les Haouanet de Tunisie". *Bulletin et Mémoire de la société d'anthropologie de Paris*, 10, pp. 155-170.
- 12-Gsell, S. (1911). *Atlas Archéologique de L'Algérie*. Alger-Paris: Fontemoing
- 13-Gsell, s. (1927). *Histoire ancienne de l'Afrique du nord* (Vol. T6). Paris: Hachette
- 14-Jacquot, L. (1900). "Les troglodytes de Baala". *Recueil des notices et memoires de la société archéologique de Constantine*, 34, pp. 131-138 □

❧.....❧

